

## خطبة: على خطى القرامطة

عنوان الخطبة	على خطى القرامطة.
عناصر الخطبة	١- التحذير من افتراق الأمة ٢- خطورة القرامطة ٣- الحذر من تدليس القرامطة المعاصرين
	٤- عوامل وحدة المسلمين

الحمد لله الذي تفرّد بالجلال فلم يكن له شريك أو معين، وأنزل كتابه بالحق فحفظه من أيدي العابثين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين، وصحابتهم الغر الميامين؛ الذين اصطفاهم فنصر بهم الإسلام والمسلمين، وجعل حُبهم من صميم الدين، وبُغضهم علامة على المنافقين.

أما بعد، فاتقوا الله عباد الله حق التقوى، وراقبوه في السر والنجوى، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

### عباد الله:

يقول العرياض بن سارية رضي الله عنه: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم، ثم أقبل علينا، فوعظنا موعظةً بليغةً ذرقت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله! كأن هذه موعظة مودّع، فماذا تعهد إلينا؟ قال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن عبداً حبشياً، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها وعصوا عليها بالتواجد، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة» رواه أبو داود<sup>(١)</sup>.

لقد جرت سنة الله في خلقه أن تبتلى هذه الأمة بفتن كقطع الليل المظلم، يميز بها الخبيث من الطيب، والصادق من الكاذب، ومن أعظم ما حذرنا منه نبينا الكريم ﷺ هو التفرق والانقسام، والبعد عن الجادة التي سلكها خلفاؤه الراشدون، والرعي المتهتدون.

ولقد بين لنا النبي ﷺ مآل هذا الاختلاف وحجمه، فقال: «إن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة»، قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي» رواه الترمذي<sup>(٢)</sup>.

### إخوة الإيمان:

إن أخطر ما واجهته الأمة في تاريخها ليس العدو الظاهر فحسب، بل أقوام ظهروا كخنجر يطعن في خاصرة الإسلام، لبسوا لباسه ليهدموا أركانه، منهم من حمل السلاح تكفيراً وقتلاً، ومنهم من أنكر القدر، ومنهم من

(١) سنن أبي داود (٤٦٠٩)، من حديث العرياض بن سارية رضي الله عنه، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٧٣٥).

(٢) سنن الترمذي (٢٦٤١)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٩٤٧٤).

عطلَّ صفاتِ اللهِ وكمالاتِهِ، ومنهُم مَنْ طَعَنَ فِي الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، ومنهُم مَنْ غَلَا فِي الصَّالِحِينَ أَوْ آلِ الْبَيْتِ ودَعَاهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ تَعَالَى، ومنهُم مَنْ جَمَعَ ذَلِكَ فَاجْتَمَعَ فِيهِمُ الشَّرُّ كُلُّهُ.

لَقَدْ قَامَتِ الْفِرْقَةُ الْبَاطِنِيَّةُ قَدِيمًا وَحَدِيثًا عَلَى رَفْضِ الْحَقِّ، وَرَفْضِ إِمَامَةِ أَبِي بَكْرٍ وَعَمْرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وَافْتَرَوْا عَلَى كِتَابِ اللهِ بِادِّعَاءِ تَحْرِيفِهِ وَتَبْدِيلِهِ، وَتَطَاوَلُوا عَلَى مَقَامِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ- بِالْإِفْكِ الْمُبِينِ، ثُمَّ اسْتَحَلُّوا دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ وَفَرَّقُوا جَمَاعَتَهُمْ.

وَكَانَتْ مِنْهُمْ فِرْقَةٌ «الْقَرَامِطَةُ» الَّذِينَ سَلَكُوا هَذَا السَّبِيلَ؛ فَالْأَمْرُ فِي الْقَرْنِ الرَّابِعِ الْهَجْرِيِّ إِلَى الْعُدْوَانِ عَلَى بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ، فَاقْتَلُوا الْحُجَّاجَ فِي صَحْنِ الطَّوَافِ، وَرَمَوْا جُنُثَهُمْ فِي بئرِ زَمْرَمَ، ثُمَّ اقْتَلَعُوا الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ مِنْ مَكَانِهِ وَغَيَّبُوهُ ثَلَاثِينَ وَعِشْرِينَ سَنَةً!

وَإِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ وَارِثًا، فَرَأَيْنَا الْيَوْمَ مَنْ يَسِيرُ عَلَى تِلْكَ الْحُطَى الْبَاطِنِيَّةِ؛ غُلُؤًا فِي الْبَشَرِ بِرَفْعِهِمْ إِلَى مَرْتَبَةِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَطَعْنًا فِي عَرَضِ النَّبِيِّ ﷺ بِسَبِّ أَزْوَاجِهِ، وَتَكْفِيرًا لَصَحَابَتِهِ الَّذِينَ فَتَحُوا الْبِلَادَ وَأَرْشَدُوا الْعِبَادَ.

لَكِنَّهُمْ تَدَثَّرُوا بِدَثَارٍ جَدِيدٍ، خَدَعُوا بِهِ الْجَهْلَةَ وَالطَّغَامَ، فَرَفَعُوا شِعَارَ الْجِهَادِ وَمَقَاوِمَ الصَّهْبُونِيَّةِ، وَالانْتِصَارِ لِلْقُدْسِ وَفِلَسْطِينَ، يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ إِسْلَامِيُّونَ، وَيُنَاجِرُونَ بِالْأَمِّ الْمُسْتَضْعَفِينَ؛ لِتُخْدِيرِ الْعَوَاطِفِ وَذَرِّ الرَّمَادِ فِي الْعَيُونِ، وَقَدْ رَأَى الْقَاصِي وَالِدَائِي كَيْفَ وَضَعُوا أَيْدِيَهُمْ بِأَيْدِيِ الْعَرَبِ فِي غَزْوِ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ، وَغَرَسُوا خَنَاجِرَهُمْ الْمُسَمُومَةَ فِي صُدُورِ جِيرَانِهِمُ الْمُسَالِمِينَ، وَاسْتَذَكَّرُوا ثَارَاتِ التَّارِيخِ الدَّفِينِ وَفِتْنَتِهِ، وَحَرَّكَوا أَذْرُعَهُمْ وَأَذْنَابَهُمْ لِلتَّنْكِيلِ بِالْمُسْتَضْعَفِينَ، لَقَدْ امْتَلَأَتْ صُدُورُهُمْ حِقْدًا وَحَنَقًا، وَتَجَرَّدُوا مِنَ الْإِنْسَانِيَّةِ فَلَا تَرَى مِنْهُمْ رَحْمَةً وَلَا رِفْقًا.

ثُمَّ أَدَالَ اللهُ الْأُمُورَ عَلَيْهِمْ بَعْدَلِهِ وَحِكْمَتِهِ، وَحَقَّقَ فِيهِمْ قَوْلَهُ: ﴿وَكَذَلِكَ نُؤَيِّ بِعُضَى الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٩]، فَسَلَطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا أَشَدَّ كَفْرًا مِنْهُمْ وَأَكْثَرَ طُغْيَانًا، فَاسْتَعَاثُوا بِمَعْبُودِيهِمْ يَرْتَجُونَ التَّأْيِيدَ وَالتَّمَكِينَ، وَتَنَادَوْا يَسْتَجِدُّونَ النَّصْرَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، لَكِنَّهُمْ مَا فَتَّشُوا أَنْ تَوَجَّهُوا إِلَيْهِمْ بِعُدْوَانٍ حَاقِدٍ أَثِيمٍ، فَفَقَاتَلُوهُمْ أَكْثَرَ مِمَّا يَقَاتِلُونَ أَعْدَاءَهُمُ الْكَافِرِينَ، وَاسْتَهْدَفُوا الْبُيُوتَ وَالْمَصَالِحَ الْعَامَّةَ وَالْمَدَنِيَّةَ الْآمِنِينَ.

فَكَيْفَ يَرْجُو النَّصْرَ مِنَ اللهِ مَنْ يَسْتَعِيثُ بِغَيْرِهِ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ الْعَاجِزِينَ؟ وَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٨]، وَيَقُولُ: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٧].

وَكَيفَ يَرْجُو النَّصْرَ مِنَ اللهِ مَنْ اسْتَحَقَّ لِعَنْتِهِ بَايْدَاءَ رَسُولِهِ ﷺ فِي زَوْجَاتِهِ، وَفِي أَصْحَابِهِ وَأَحْبَابِهِ؟ وَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٧]. وَكَيفَ يَرْجُو النَّصْرَ مَنْ تَلَطَّحَتْ يَدُهُ بِدِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ فِي بَقَاعِ شَتَى، وَسَفَكَ الدَّمَ الْحَرَامَ وَظَلَمَ وَتَعَدَّى؟ وَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿لَنْهَلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾ [إبراهيم: ١٣]، وَيَقُولُ: ﴿فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٧].

عباد الله:

وَمَعَ وضوح حال هؤلاء القوم وَجَلَّاهُ لِكَلِّ ذِي بصيرة، فَإِنَّ فَنَاءَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَا زَالَتْ تُعْمِيهِمْ أَكَاذِبُ الْإِنْتِسَابِ لِفَاطِمَةَ وَبَعْلِهَا وَبَنِيهَا -رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَعَلَيْهَا-، وَتُصَمُّ آذَانَهُمْ أَهْزَابِجُ تَحْرِيرِ الْقُدْسِ مِنْ مُحْتَلِّيَّهَا، وَتَحْدَعُهُمْ دَعَاوَى مَحَارِبَةِ الْغَرْبِ فِي تَسْوِيعِ الْعُدْوَانِ عَلَى دَوْلِ الْخَلِيجِ وَالْقَاطِنِينَ فِيهَا.

أَفَنَسِيَ هَؤُلَاءِ الْمَخْدُوعُونَ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْخَوْنَةَ الْجَرْمِينَ، قَدْ صُنِعُوا عَلَى أَعْيُنِ الْغَرْبِ وَفِي بِلَادِهِمْ، وَارْتَمَوْا فِي أَحْضَانِ الْقُوَى الْخَارِجِيَّةِ حِينَ وَافَقَ ذَلِكَ مَصَالِحُهُمْ، وَتَأَمَّرُوا مَعَهُمْ لَغْزْوِ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ وَتَفْكِكِهِمْ وَإِضْعَافِهِمْ؟! وَكَيْفَ يُصَدِّقُ عَاقِلٌ أَنَّ مَنْ قَتَلَ الْمُسْلِمِينَ فِي بَغْدَادَ وَدِمَشْقَ وَصَنْعَاءَ وَبَيْرُوتَ، وَيَقْصِفُ الْيَوْمَ بِصَوَارِيخِهِ الْأَمْنِينَ فِي الْبَيْوتِ، هُوَ نَفْسُهُ مَنْ سَيَحْرِرُ الْقُدْسَ؟ إِنَّ الْقُدْسَ لَا يُحْرَرُهَا مَنْ يُعَادِي فَاتِحَهَا عَمْرًا، وَلَا يُطَهِّرُهَا مَنْ يَدْنِسُ مَسَاجِدَ التَّوْحِيدِ بِالشَّرْكِ وَالْكَفْرِ، وَلَا يَبَالُ شَرَفَ فَتَحِهَا مَنْ تَلَطَّحَتْ يَدُهُ وَقَلْبُهُ بِالْحُبْثِ وَالْغَدْرِ! إِنَّ الْوَعْيَ بِخَطَرِ الْمَشْرُوعِ الصَّفَوِيِّ وَاجِبٌ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَالتَّحْذِيرُ مِنَ الْإِفْتِنَانِ بِهِمْ وَمِنَ التَّعَاطُفِ مَعَهُمْ مُهْمَةٌ الدُّعَاةِ وَالْمُؤْتَرِّينَ.

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ فَاسْتَغْفِرُوهُ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.



### الخطبة الثانية.

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

عباد الله:

فِي ظِلِّ هَذَا الْعُدْوَانِ الظَّالِمِ، لَا يَجُوزُ أَنْ يَغْفَلَ الْمُؤْمِنُونَ عَنْ تَرْبُصِ الْعَدُوِّ الْأَكْبَرِ، وَالْخِصْمِ الْأَكْفَرِ، وَالْأَطْعَى وَالْأَمَكْرِ، وَهُمْ الصَّهَابِينَةُ الْيَهُودُ وَأَوْلِيَاؤُهُمْ، الَّذِينَ يُوقِدُونَ الْحُرُوبَ وَيُشْعِلُونَ الْقَلَاقِلَ، ثُمَّ يَسْتَمْتِرُونَ فِيهَا لِتَنْفِيزِ مَشَارِبِعِهِمُ التَّوَسُّعِيَّةِ، وَتَحْقِيقِ مَا افْتَرَوْهُ مِنْ نَبْوءَاتِهِمُ التَّوْرَاتِيَّةِ، لَقَدْ مَكَّرُوا مَكْرًا كُبْرًا، ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

وَإِنَّهُ -وَاللَّهِ- لَا مَخْلَصَ لَنَا سِوَى الْعُودَةِ إِلَى حِصْنِ الْوَحْدَةِ وَالْإِيمَانِ، وَالتَّوْبَةِ إِلَى اللَّهِ مِنْ أَسْبَابِ الْفُرْقَةِ وَالْخِذْلَانِ.

إِنَّ الْوَحْدَةَ الَّتِي يَنْشُدُهَا الْإِسْلَامُ لَيْسَتْ مَجْرَدَ شِعَارَاتٍ، بَلْ هِيَ بِنَاءٌ يَقُومُ عَلَى أَرْكَانٍ لَا يَصِحُّ مِنْ غَيْرِهَا: أَوَّلُهَا: التَّمَسُّكُ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَلَا وَحْدَةَ إِلَّا عَلَى الْوَحْيِ الصَّافِي، وَصِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وثانيها: اجتناب ما يُغضبُ الله تعالى من البدع والحدثات، ومن المعاصي والمنكرات: فإنَّ غضبَ الله سببٌ لخدلانه وتسليطِ الأعداء، والبدع سببٌ للفرقة واختلاف الكلمة، ومِعْوَلٌ هدمٌ يَقْوِضُ وحدةَ الأمة، والمعاصي سببٌ للمصائبِ وحرمانِ التوفيق، قال تعالى: ﴿أَوْلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

وثالثها: اتلافُ القلوبِ وذرءُ النزاعات، باجتماعِ القلوبِ على الإيمانِ والموالاتِ عليه، والحذرِ من دعاةِ الفتنة والفرقة، الذين لا يرونَ سوى حدودِ أوطانهم، ولا يتألمونَ لألمِ المسلمين من إخوانهم، وهذا واجبٌ على مستوى الدُّولِ فيما بينها، وعلى مستوى الأفرادِ والشعوبِ، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِتْنَةً فَاتَّبِعُوا وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ \* وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٥-٤٦].

ورابعها: لزومُ جماعةِ المسلمين بطاعةِ وليِّ الأمرِ المسلمِ في المعروفِ، فالالتفافُ حوْلَ القياداتِ الشرعيةِ في بلادِ المسلمين، صمامُ أمانٍ من الفوضى، وسدٌّ لبابِ مثيري الفتن، الذين لا تعنيهم مصالحُ الأمةِ العليا، وبيتغونَ الدمارَ لبلادِ المسلمين.

وأخيراً: معرفةُ العدوِّ ومجاهدته والحذرُ منه، فيجبُ أن ندرِكَ أعداءنا الحقيقيين من كلِّ جانبٍ، ونبرأ إلى الله من موالاتِ مَنْ عادى الله وأوليائه، ونعي أن الصَّهَابِيَّةَ والصَّفَوِيَّةَ عدوَانِ لَنَا، ولكلِّ منهما مشروعُهُ، لكنَّ اختلافَ مصالحِهما، وتضاربتَ مشاريعهما، وأمَّا نحنُ فطرفٌ آخرُ، لسنا من هؤلاءِ ولا من أولئك، بل نحنُ هدفٌ ومطمعٌ للفريقين.

فلنحذرَ من الاصطفافِ والرَّكُونِ إلى أيِّ منهما فنطعنَ في ظهورنا، أو أن نطاوعهم بالتخلي عن شيءٍ من ديننا وعقيدتنا، فلا نجني إلا الشوكَ والنَّدَمَ.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ \* بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٩ - ١٥٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣].

اللَّهُمَّ ارنا الحقَّ حقاً وارزقنا اتِّباعه، وارنا الباطلَ باطلاً وارزقنا اجتنابه، ولا تجعله ملتبساً علينا فنضلل. اللَّهُمَّ اجعلنا هادين مهتدين، غيرَ ضالِّينَ ولا مُضِلِّينَ، سلماً لأوليائِكَ، حرباً على أعدائِكَ، نُحِبُّ بِحُبِّكَ مَنْ أَحَبَّكَ، وَنُعَادِي بِعَدَاوَتِكَ مَنْ خَالَفَكَ.

اللَّهُمَّ آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وؤلاة أمورنا، واكفنا شرَّ الأشرار وكيد الفجار.

اللَّهُمَّ من أرادَ إيماننا وأمتنا بسوءٍ فاشغله بنفسه، واجعل كيده في نحره.

ربَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.